MERS
MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN-NAHAR
Date : 14-7-94
Photo No. : 48

غزوة قبلية واعلان اصولي

هزيمة للديبلوماسية السعودية، مكسب عراقي، فشل مصري، تناقض اميركي – سعودي حسم على حساب المملكة، اعادة نظر اميركية في توازنات الجزيرة العربية...

استنتاجات "اقليمية" عدة يمكن استخلاصها من حرب اليمن الاخيرة. وكلها واردة على الارجح، تماما كما كانت واردة القراءات الاقليمية لاندلاع الحرب. غير ان الغوص في التحليلات ذات الطابع الخارجي يقف عند عامل لا يجوز تجاهله، وهو ان الحرب حسمت وفق آلية يمنية "داخلية"، وبسرعة حالت دون المزيد من التفاعلات الاقليمية.

بهذا المعنى، كذّب علي عبدالله صالح معظم التوقعات، وربما احبط ايضا آمال عدد من الاطراف كانوا يعوّلون على استنزاف يمني مديد. وقد تمكن من ذلك بسبب تحضيره للحرب سياسيا وعسكريا، حتى انه يجوز الآن القول، وبالنظر الى الوراء، ان الشماليين ربحوا الحرب بمجرد اندلاعها. ففي هذه اللحظة، كانت الالوية الجنوبية محيدة ومعزولة في العمق الشمالي، فيما كانت الالوية الشمالية قابلة لان تتحول، بسبب قرب عدن من الحدود السابقة، رؤوس حربة للهجوم، بمجرد ان يتم فتح خط التموين لها. كذلك، كان علي صالح قد تقدم سياسيا من خلال ادارة دقيقة للتوازنات القبلية والحزبية جعلت الجبهة الجنوبية منخورة على اكثر من صعيد، كما يستدل الآن من التباينات البادية في صفوف الحزب الاشتراكي.

لا تلغي هذه المهارة التكتيكية اثر العوامل الخارجية، ومن اهمها عسكريا المساعدة التي قدمها خبراء عراقيون للجيش الشمالي، ما سمح له باطلاق هجومين متوازيين على خطين تفصل بينهما مئات الكيلومترات، في حين ان السعودية ظلت عاجزة عن تقديم دعم مماثل لحلفائها الظرفيين في الجنوب.

لكن هذا العجز نفسه قد يكون سره ايضا في السرعة المباغتة للتقدم الشمالي على جبهة المكلا. فالحسابات السعودية لم تقم على دعم انفصال اليمن الجنوبي السابق بمقدار ما قامت على قيام كيان مصفر ومدجّن في حضرموت، اقله بعد الاسابيع الاولى للقتال، وهو الامر الذي يفسّر غيابَ الاعتراف الديبلوماسي بالجنوب (بالاضافة الى الضغوط الاميركية طبعا). يبقى ان عامل الحسم لم يكن لا عراقيا ولا سعوديا، بل كان يمنيا.

ولئن كان الحسم يمنيا، فإن حظوظ اليمن في طي ملف الحرب نهائيا هي ايضا في يد اليمنيين. لكن الاشارات الاولى غير مطمئنة. فعلى رغم الانفتاح الذي اوحى به علي صالح من خلال قرار العفو عن العسكريين الجنوبيين والبحث عن شركاء في الحكم من داخل الحزب الاشتراكي، فإن ثمة ظاهرة تقول العكس تماما. انها الغزوة القبلية التي اطلق لها العنان منطق القوة المتحكم بالمنتصرين.

وقد ازدادت خطورة هذه الظاهرة لكونها اقترنت منذ اللحظة الاولى بـ"اعلان نيات" اصولي واضح موجه ضد "فساد الحداثة" من خلال تدمير معمل لصنع البيرة.

ولعل اخطر ما في الامر ان اسباب اندلاع الازمة، قبل الحرب، ترشح هذه الظاهرة، بوجهيها القبلي والاصولي، لأن تتكرر على مستوى الجنوب بأكمله. اذ لا يخفى ان النزاع حول تقاسم مردود النفط، ومعظم حقوله موجودة في الجنوب، كان من عوامل اهتزاز الوحدة. كما ان طموح حزب "الاصلاح" الاصولي شكّل عامل اختلال آخر بين الحزبين الحاكمين.

فكيف اذا صار "الاصلاح"، في ختام الغزوة القبلية، يطمح لأن يأخذ مكان احد هذين الحزبين؟

سمير قصير